للوقوف ضد استقلال الشعوب العربية ، تلك الوكالات التي طالبت باقامة المستعمرات اليهودية وادخال الاقتصاد والتكنولوجيا الحديثين اليها وحرمان العرب منهما بعد طردهم من اراضيهم .

ويقع رودنسون في مغالطة كبيرة عند ذكره « ان قلة نادرة من الافراد اليهود » ، التي كانت خاضعة « للايديولوجية الستالينية » خلال فترة الانتداب ، قد عارضت الصهيونية . اذ كيف يمكن ان يعارض ، من يكون خاضعا للايديولوجية الستالينية ، الصهيونية التي وفرت الاساسين الايديولوجي والمادي لقيام دولة اسرائيل ، في حين ان تلك الايديولوجية اعترفت باسرائيل فور الاعلان عن قيامها ، واعتبرت ذلك خطوة الى الامام في وسط عالم متخلف ؟ من الاصح القول ان معارضة اليهود الستالينيين للصهيونية قد ارتكزت على ما كان قد بقي في رؤوسهم من مفاهيم الاممية الماركسية ، وليس على « الايديولوجية » الستالينية التي افسحت المجال لهم لتأييد انشاء دولة اسرائيل وفقا لسياسة ستالين الخارجية .

ويعود رودنسون ، في فصل آخر من كتابه ، الى التأكيد على طبيعة دولة اسرائيل الاستعمارية — الاستيطانية ، وخاصة من خلال نتائج حرب حزيران (يونيو) في عام ١٩٦٧ فاذا كانت اسرائيل قد تأسست عام ١٩٤٨ وفقا لقانون « ارض من دون شعب الى شعب دون ارض » الذي قبله العالم منذ ذلك الحين ، على الرغم مما لحق بالشعب الفلسطيني من تشرد وقهر وحرمان ، فان توسعها واحتلالها لاراضي ثلاث دول عربية اخرى بعد حرب حزيران (يونيو) لم يجر وفقا لهذا القانون . فقد سبق تأسيس دولة اسرائيل في عام ١٩٤٨ تشكيل قاعدة اجتماعية يهودية مؤلفة من المهاجرين اليهود الذين وفدوا الى فلسطين من كل ارجاء العالم وحلوا محل شعبها الذي شرد . ان اسرائيل ، حتى تلك الاونة ، « لم تصنف — وفقا لقانون العلاقات الدولية والمفاهيم السياسية السائدة — دولة ذات طابع استعماري » . الا ان ما حدث « خلال وبعد حرب حزيران (يونيو) يؤكد تلك الطبيعة » . فعند قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ طرد الشعب من فوق الاراضي الفلسطينية ، الا ان الشعب الذي احتلت اراضيه (شعوب ثلاث دول : سوريا ومصر والاردن) التصق بأرضه هذه المرة .

ولم يمنع هذا اسرائيل من الوقوع في تناقض مع الشعار الذي قامت وفقا له وهو : « ارض من دون شعب الى شعب من دون ارض » . فالتواجد الاقتصادي والسياسي والعسكري الاسرائيلي يمارس يوميا على شعوب الدول التي احتلت أراضيها خلال حرب حزيران (يونيو) . فالاقتصاد الرأسمالي البرجوازي الاسرائيلي يجد في اليد العاملة الفلسطينية الرخيصة والمتوافرة بكثرة في الضفة الغربية وغزة فرصة نادرة لاستغلالها في عملية تراكم ارباحه . كما وان العلاقة السائدة بين شعوب المناطق المحتلة وبين السلطات الاسرائيلية علاقة استعمارية ، من النوع الذي يسود أية علاقة بين سلطة استعمارية وبين شعب مستعمر .

بعد هذا المدخل الشيق ، والبحث الذي يرتكز على المنهجية العلمية في الاستقصاء والتأكد من طبيعة اسرائيل الاستعمارية — الاستيطانية ، ما هو الحل الذي يقترحه رودنسون لازالة الصبغة الاستعمارية — الاستيطانية عن دولة اسرائيل ؟ وبعبارة اخرى ، ما هي الاقتراحات «الرودنسونية» لحل الازمة العربية — الاسرائيلية ؟ اقتراحات رودنسون ، في الواقع ، ما هي الا امتداد « للايديولوجية » الستالينية التي اعترفت بدولة اسرائيل ، والتي لا تزال تنظر اليها وفقا لمفهوم أكثر تطورا — والمقصود اغوارا — لتلك الايديولوجية بعد ان اصبحت نظرية قطب دولي . فماذا يقول رودنسون ؟

رودنسون لا يعتقد بوجود حل «ثوري» للمسألة، ويحذر اولئك الذين « يحرضون على الانتقام والقتل من أبراجهم العاجية » ، ويدعو الى تطبيق حل ابيض « غير دموي » ، ويحث الفلسطينيين على عدم اتباع الصراع المسلح ، على الرغم من ان ذلك يؤدي حتما الى قبولهم بمسألة « تشريدهم » . ويأمل رودنسون بأن يتمكن مرور الزمن « من حل المسألة » ويعيد الى العرب حقوقهم . وكي يؤكد على صحة هذه المفارقة ، فهو يأتي على ذكر تقسيم ايرلندا — الستر الذي وقع اثناء كتابة رودنسون لدراسته هذه (أي في عام ١٩٦٧) ، والذي اعتقد عدد من المراقبين السياسيين آنذاك انه قد يؤدي الى حل المسألة الايرلندية . الا ان نهر العنف المتدفق في ايرلندا في هذه الايام يؤكد بطلان صحة تلك الادعاءات .